المحاضرة رقم 07 في مقياس التحليل النفسي: تفسير الأحلام بين التحليل النفسي والانثربولوجيا

الهدف من المحاضرة:

- التعرف على تكوين الحلم وفق نظرية التحليل النفسي.
- تفسير الأحلام بين التحليل النفسي والانثربولوجيا.

1- تكوين الحلم وفق فرويد:

يقول فرويد بأن الحلم يتم بطريقتين مختلفتين:

- إمات أن يكون انفعال غريزي " رغبة لاشعورية" تصبح فوة كافية في أثناء النوم لتفرض نفسها على الأنا.
- سلسلة من الأفكار الشعورية بكل ما تستعينه من منازعات في أثناء النوم بفعل عنصر لا شعوري.

وعلى هذا الأساس فهناك أحلام تصدر من الهو والبعض الآخر يصدر من الأنا، وأولوية تكوينها تتماثل في الحالتين مثلما يتماثل شرطها الدينامي اللازم.

يمكننا القول بأن هناك غريزة تدفع بالإنسان على الرجوع إلى الحياة داخل الرحم تخلق عند الولادة وهي غريزة النوم، والما النوم إلا عودة إلى رحم الأم، وبما أن الأنا اليقظان هو الذي يتحكم بالطاقة الحركية فإن هذه الوظيفة تشل في النوم، وبهذا تشفى الحاجة إلى شطر لا يستهان به من ضروب الكف المفروضة على الهو الشعوري، عندئذ يتيح سحب هذه التوظيفات المضادة أو إنقاصها ويعطي الهو قسطا من الحرية.

الأدلة على دور الهو في تشكيل الأحلام كثيرة منها:

- ذاكرة الحلم أشمل من ذاكرة اليقظة، فالأحلام تعيد ذكريات نسيها الحالم وليست متناولة أثناء اليقظة.

- يستخدم الحلم عددا من الرموز اللغوية التي لا يعرف الحالم معناها في أغلب الأحيان، ويبدو أن صادرة من المراحل الأولى المبكرة لتطور اللغة.
- غالبا ما تستعيد ذاكرة الحلم انطباعات عن طفولة الحالم المبكرة التي نسيت وأصبحت لا شعورية بالكبت.
- يفصح الحلم عن مضمونات لا يمكن أن يكون مصدرها الحياة الناضجة ولا عهد الطفولة المنسي للحالم.

عموما يمكننا القول بأن صياغة الحلم في جوهرها حالة من حالات المعالجة اللاشعورية للعمليات الفكرية القبلشعورية، مع التأكيد على أن عمل الحلم يتمخض عن تأثير تنظيم الأنا الذي لم يشل تماما في التحريف المفروض على المادة اللاشعورية،

2- تفسير الأحلام بين التحليل النفسي والانثربولوجيا:

يعتبر فرويد أن التكثيف أو مفعول لعمل الحلم ويقصد به أن محتوى الحلم الظاهر يكون أصغر حجما من محتوى الحلم الكامن. يقصد بعمل الحلم العملية التي تحول الحلم الكامن إلى حلم ظاهر، أما العملية المعاكسة التي تنفذ من الحلم الظاهر لتصل إلى الحلم الكامن فتسمى عمل التأويل الذي يسعى إلى إلغاء عمل الحلم.

ويتم التكيف من خلال ما يلي:

- إما أن تحذف بعض العناصر الكامنة برمتها.
- أو أن تبقى بعض الأجزاء التي يتألف منها الحلم في الحلم الظاهر.
- أو أن تنصهر العناصر الكامنة ذات السمات المشتركة مع بعضها في الحلم الظاهر.

المفعول الثاني لعمل الحلم وفق فرويد هو الرمزية والتي يقصد بها تعبير شيء بشيء آخر وهو الرمز الذي يعبر عن الشيء الأول وهو الأصل، وأشهر أنواع الرموز هو الألوان والضوء، والرمزية في التحليل النفسي تقوم على ثلاثة مبادئ هي:

- التشابه في الشكل.
- التشابه في الوظيفة.
- التشابه في الانفعال الذي يحركه الرمز والمرموز إليه.

مثال: مرأة، شجرة الوظيفة هي الانجاب والإثمار، البحار والمياه ترمز إلى الحياة والموت.

لقد سادت معالجة الحلم في شكلين رئيسيين واحدة شعبية وهي مفاتيح الأحلام والأخرى علمية وهي التحليل النفسي، إلا أن الاثنولوجيا والانثربولوجيا تخبرنا بأن المجتمعات غير الغربية تجعل من هذه المعالجة شأنا فكريا واجتماعيا واسعا يحول انتاجات حميمية في الظاهر إلى نمط للتواصل. لقد كان التحليل النفسي هو المتسبب في ولاية أنثربولوجيا الحلم، إذ أن المسيرة التي قام بها فرويد وكارل أبراهام على مقارنة أحلام المعالجين الغربيين مع أساطير المجتمعات البدائية نشأ عنها البحث عن موازاة بيين عمل الحلم والحذاقة الخاصة بفكر الأساطير. ولقد ركز الثقافيون اهتمامهم على مضامين المنامات والعلاقات بين الأحلام والحالمين، فراو أن في الأحلام اختبارات فردية تلقي الضوء على سير الحياة وتكشف أيضا على الرواسب غير المتحضرة للشخصية والنقاط العشوائية للثقافة.

هناك نظريتين في الدراسات الانثربولوجية في دراسة الحلم:

إحداهما ترجع الأحلام كرؤى إلاهية وتجسدها كتعبير عن القدر وعن الأيديولوجية الدينية السائدة في الثقافة التي تميزها، والأخرى نظرية عقلانية تعامل الحلم كرؤى خاصة بالأفراد وتصنفها كأنماط، وتعتمد ففي تفسيرها وتحليلها وتأويلها باجتهادات فلسفية.

توصلت الدراسات الانثربولوجية للحلم إلى:

- تصورت شعوب عديدة وجود روابط بين الحلم واليقظة.
- يؤول البعض الحلم وينقيه ويحيطه بالرقابة.
- يفترض بعضها الآخر أن هناك كيان إلاهيا يرسل الحلم.
- يترادف الحلم بالأسطورة مع تحويلها إلى عمل إلى اختيار والشعور بحقيقتها.
- هناك أشكال خصوصية في الحلم.